DEÜİFD, XXX/2009, ss. 69-81

دراسة نقدية لآراء مفسري القرآن الكريم حول معمودية النصاري

S.K. Tabatabaei*

HIRİSTİYANLARIN VAFTİZ RİTUELİ KONUSUNDA KUR'AN YORUMCULARINA BİR ELEŞTİRİ

ÖZET

Kur'ân-ı Kerîm, pek çok ayetinde ya "Ehl-i Kitâb" ifadesini kullanmış ya da onların bazı akîde ve ibadetlerine vurgu yapmıştır. Konuyla ilgili doğru ve yeterli bilgi sahibi olmayan bazı müfessirlerin konuyu yanlış anladıkları aşikardır. Mesela Allah Teala, Bakara Suresi 138. ayette "İşte Allah'ın vaftizi! Allah'tan daha güzel vaftiz eden var mıdır?" buyurarak bu noktaya işaret etmiştir. Bu makalenin yazarı, müfessirlerin "sıbğa" kelimesi örneinde yorumlarını inceleyerek, Ehl-i Kitâb ile ilgili ritüellerin yeterince bilinemediğini ve bunun için ilmî ve sistematik bir çalışma yapılması gerektiğini önerecektir. Kısacası, "Ehl-i Kitâb"ın akide ve ibadetlerinin doğru, ilmî, ve kaynaklara dayalı olarak bilinmesi "tefsir esasları"na ilave edilmelidir.

Anahtar Kelimeler: Kur'ân Yorumu, Müfessirler, Sıbğa, Vaftiz, Zemahşerî.

A CRITICAL REVIEW OF THE HOLY QUR'AN INTERPRETER'S OPINION TO THE CHRISTIAN RITUAL OF BAPTISM

ABSTRACT

In many of its verses, the Holy Qur'an has addressed "People of the Book" or pointed out their religious beliefs and rituals. It seems, however, that the interpreters have in some cases spoken of those verses in a way inconsistent with reality due to their lack of accurate and comprehensive knowledge concerning their beliefs and rituals. For instance, Almighty God has pointed to the Baptism Ritual in verse 138, Surat al-Baqara: "The baptism (Sibghah) of Allah, and who baptizes better than Allah?" In this article, the writer has critically reviewed the words of interpreters in the interpretation of "Sibgha" (as an example), and suggested that their religious knowledge is not well-researched, scholarly, and systematic one. To compensate for this shortcoming,

* Professor Dr., Ferdowsi University of Mashhad. E-mail: tabatabaei@um.ac.ir

accurate, scholarly, and well-documented knowledge of the beliefs and rituals of "People of the Book" should be added to "fundamentals of interpretation".

Keywords: Quran interpretation (tafsir), Holy Quran Interpreters, Sibgha, Baptism, Zamakhshari.

تمهيد

لقد خاطب الله تعالي في كثيرٍ من آيات كتابه العزيز اهل الكتاب و حكي عن تقاليدهم و عاداتهم صراحة و كناية. و لكن بعض المفسرين لعدم اطلاعهم عن جوانب تقاليد اهل الكتاب و لبُعدهم عن عاداتهم، نسبوا اليهم اعمالاً هم بُراء منها. منها: انّ الله –تعالي شأنه– خلال احتجاجه علي اليهود و النّصاري في الوحي المدني من سورة البقرة 135–141، وافناد قولهم في الله و دين ابراهيم، يشير الي صبغة النصاري بقوله:« صبغة الله و من احسن من الله صبغة و نحن له عابدون»(البقره، 138).

فقد ابدي المفسرون في معني صبغة الله آراء متفاوتة. فكثير منهم قالوا ان المراد من «صبغة الله» دين الله، الاسلام أوالايمان؛ و منهم من قال المراد به فطرة الله و سنة الله أوالختان أوالتطهير أو غسل الجنابة أو الاغتسال لمن اراد الدخول في الاسلام. و من بين هولاء المفسرين من قال، انّ الصبغة اشارة الي تعميد اهل الكتاب؛ فبما انّ الايات الانفة (135–141) تطالب النبي بمحاجة اليهود و النصاري في ايمان ما انزل علي ابراهيم (ع) و من تلاه من الانبياء، يشير تبارك و تعالي خلالها الي التعميد عند المتنصّره و يقول التعميد ليس تعميد يحيي في الماء و لا تعميد عيسي في روح القدس و النار و لا تعميد المتنصّره باسم الاب و الابن و روح القدس، بل التعميد هو تعميد الله[1].

و ممّا يلفت نظر الباحث في هذا المجال في بيان هذا الفريق من المفسرين، هو انتساب اعمال في التعميد عندالنصاري، ما هو غير منطبق انطباقا دقيقاً مع واقع المعمودية عندالنصاري. و استبيان هذا يحتاج الي عرض آراء المفسرين و ارباب اللغة في هذا المجال. لذلك قمنا بمراجعة آراء المفسرين في ثلاثة اقسام:

الف– آراء المفسرين قبل الزمخشري.

ب– رأي الزمخشري.

---

[1] و قد بين الكاتب (بالمشاركه مع السيده معصومه خاتمى) فى بحث آخر(باللغة الفارسية) اَن « الصبغة» لفظة دينيّة كانت العرب المتنصّرة قبل الاسلام تستخدم لسنة التعميد. راجع :« رنگ يا تعميد ؟»، ***پژوهش ديني***، ش12، زمستان 1384ش./الشتاء 2006، ص7–31.

ج- آراء ما بعدالزمخشري.

الف: آراء المفسرين قبل الزمخشري:

1-عبدالله بن عباس[2] (3ق.ه -68ه/619-687م): قال ابن عباس علي ما رواه المحدّثون و المفسرون في سبب نزول هذه الايات: « ان النّصاري كان اذا ولد لاحدهم ولدٌ فاتي عليه سبعة ايّام صبغوه في ماءٍ لهم يقال له ماء المعمودي ليطهروه بذلك و يقولون هذا طهور مكان الختان، فاذا فعلوا ذلك صار نصرانياً حقّاً؛ فانزل الله تعالي هذه الاية[3]».

2-الفرّاء (144-207ه/761-822م): «انمّا قيل صبغة الله لانَّ بعض النصاري كانوا إذا وُلد المولود جعلوه في ماء لهم يجعلون ذلك تطهيراً لهُ كالختانة[4]».

3-الطبري(224-310ه/839-923م): « يعني- تعالي ذكره- بالصبغة صبغة الاسلام و ذلك انَّ النصاري اذا ارادت ان تنصّر اطفالهم، جعلتهم في ماءٍ لهم تزعم اَنّ ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لاهل الاسلام، و انّه صبغةٌ لهم في النصرانيّة[5]».

4-الجوهريّ(ت393ه./1003م): « و صبغة الله دينُه و يقال: اصله من صبغ النصّاري اولادهم في ماءلهم[6]».

5-الطوسّي(385-460ه/995-1067م): « و قوله "صبغة الله" مأخوذٌ من الصبغ، لانّ بعض النصاري كانوا اذا ولدلهم مولود جعلوه في ماءٍ طهورٍ، يجعلون ذلك تطهيراً له و يسمّونه العمودّية [كذا] ... و هو قول الفرّاء[7]».

6-ابوبكر محمد بن عتيق النيسابوريّ، المشتهربن«سورآبادي»(ت494ه./1101م): «سُمّي الاسلام صبغة في مقابلَ النصاري لانّهم كانوا يلوّنون اولادهم، كان لهم ماءٌ يسمّي ماء المعبودية [كذا] يغسلون به الطفل و يقولون صبغناه علي ديننا[8]».

---

2 استندت في مواليد و وفيات المفسرين الى **الاعلام** لخيرالدين الزركلى الّا فى بعض الموارد.

3 الواحدى النيسابورى، ***اسباب النزول***،ص26. راجع ايضاً: ابن الجوزى، ***زاد المسير فى علم التفسير***، ج1،ص135؛ ابوالفتوح الرازى، ***روض الجنان و روح الجنان***، ج1،ص176؛ الشهرستانى، ***مفاتيح الاسرار و مصابيح الابرار***، الورق 258آ؛ القرطبى، ***الجامع لاحكام القرآن***، ج1،الجزء الثانى،ص135.

4 ***معاني القرآن***، ج1،ص82.

5 ***جامع البيان***، ج1،ص792.

6 ***الصحاح***،مادة «صبغ».

7 ***التبيان فى تفسير القرآن***، ج1،ص485.

7-الراغب الاصبهاني[9] (ت حوالي 502ه/1108م): « و كانت النصاري اذا ولدلهم ولدٌ غمسوه بعد السابع في ماء عمودية [كذا] يزعمون انّ ذلك صبغة[10]».

ب- رأي الزمخشريّ

يعدّ تفسير ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ الملقب بجارالله (467-538ه./ 1075-1144م.) نقطة عطف في تاريخ التفسير، و هو كتابٌ ذاع صيته و قيمته العلميّة بين المخالف و الموافق[11]. يقول الزمخشريّ في تفسيره عن هذه الاية:«انّ النصاري كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعموديّة و يقولون هو تطهيرٌ لهم، و اذا فعل الواحد منهم بولده ذلك، قال الان صار نصرانياً حقاً[12]».

ج- آراء من بعد الزمخشريّ

1-الطبرسّي(ت 548ه./1153م) قال في مجمعه الذي الفّه قبل رؤيته كشاف الزمخشري نقلاً عن تبيان الطوسيّ:« صبغة الله مأخوذة من الصبغ لانّ بعض النصاري كانوا اذا ولد لهم مولود غمسوه في ماءٍ لهم يسمّونه المعموديّة،يجعلون ذلك تطهيراً له ... و هو قولُ الفرّاء[13]».

امّا بعد اطلاعه علي تفسير الكشاف و رؤيته دقائق هذا التفسير ذكر في تفسيره الثاني المسمّي بجوامع الجامع الذي الّفه بعد رؤيته للكشاف[14] هذه العبارة في تفسيره للصبغة:« انّ النصاري كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يُسمّونه المعمودية و يقولون هو تطهير لهم[15]».

2-و امّا الميبديّ الذي شرع تأليف تفسيره الفارسيّ المسمّي بن « كشف الاسرار و عدّة الابرار» في عام 520ه.[16] يقول في هذا الصدد: « انّ النصاري كانوا يغمسون مولودهم في ماء اصفر بمدينة عموريّة[17]، و يقولون: صبغناه نصرانياً[18]».

---

8 ***تفسير سورآبادى***(و هو تفسير فارسى)، ج1،ص130.

9 ذكرت نسخة ***المفردات*** التى بين ايدينا تاريخَ وفاته حوالى 425ه .

10 ***مفردات الفاظ القرآن***، مادة «صبغ».

11 للاطلّاع على مكانة *الكشاف* العلميّه و حكم العلماء فيه راجع: الذهبى، ***التفسير و المفسرون***،ج1،ص433 و مابعدها.

12 ***الكشاف***، ج1،ص196.

13 ***مجمع البيان***، ج1،ص219.

14 الطبرسى، ***جوامع الجامع***، ج1،ص2 فما بعدها.

15 المصدر نفسه، ج1،ص83.

3-الفخر الرازّي(544-606 هـ./1150-1210م): « و ذكروا في انّه لم سُمّي دين الله بصبغة الله وجوهاً. احدها ان بعض النصاري كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمّونه المعموديّة و يقولون هو تطهير لهم و اذا فعل الواحد بولده ذلك قال الآن صار نصرانياً. فقال الله تعالي: اطلبوا صبغة الله و هي الدين و الاسلام لا صبغتهم[19]».و هذا قول الزمخشري بعينه.

4-القرطبّي (ت.671هـ./1273م): « انّ النصاري كانوا يصبغون اولادهم في الماء و هو الذّي يسموّنه المعموديّة و يقولون هذا تطهيرٌ لهم[20]».

5-البيضاوي(ت685هـ./1286م.): « فانّ النصاري كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسّمونه المعمودية و يقولون هو تطهيرٌ لهم و به تتحقّق نصرانيتهم[21]» و هذا ايضا قول الزمخشري بعينه.

6-النسفي(ت.710هـ./1310م.):« انّ النصاري كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمّونه المعموديّة و يقولون هو تطهيرٌ لهم، فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانياً حقّاً[22]». و هذا ايضاً نصّ الزمخشري بعينه.

7-ابن منظور(630-711هـ./1232-1311م.):« و انّما سماه [اي الختان] المسلمون تطهيراً، لانّ النّصاري لمّا تركوا سنّة الختان، غمسوا اولادهم في ماء صبغ بصفرةٍ،يصفر لون المولود و قالوا: هذه طهرة اولادنا الّتي أمرنابها[23]».

8-النظّام النيسابوري(المتوفي بعد سنة 850هـ./1446م): « انّ النصاري كانوا يغمسون اولادهم في ماءٍ اصفر يسمّونه بالمعمودية و يقولون هو تطهير لهم و به يصير الواحد منهم نصرانياً حقّاً[24]». و هذا ايضاً نصّ الزمخشري.

---

16 الميبدى، ***كشف الاسرار و عدة الابرار***، ج1،ص1.

17 عموريّه(ammuriyya ،amoria) مدينة بيزنطيه فى آسيا الصغرى. فتحها العرب على ايام المعتصم العباسى فى سنة 223هـ .(راجع: ياقوت، ***معجم البلدان***، ذيل عمورية).

18 الميبدى، المصدر نفسه، ج1،ص381.

19 ***التفسير الكبير***، ج1،ص495.

20 ***الجامع لاحكام القرآن***، ج1، الجزء2،ص135.

21 ***انوار التنزيل و اسرار التأويل***، ج1،ص193.

22 ***تفسير النسفى***، ج1،ص85.

23 ***لسان العرب***، مادة «طهر».

24 ***غرائب القرآن و رغائب الفرقان***، ج1،ص471.

9-الثعالبي(786-875هـ./1384-1470م):« انّ النصاري لهم ماءٌ يصبغون فيه اولادهم[25]».

10-المولي فتح الله الكاشاني(ت. 988هـ./1584م):« فصبغتهم انّهم كانوا يغمسون مولودهم بعد سبعة ايام من ولادته في ماء اصفر يسمّونه المعموديّه و يجعلونه تطهيراً للمولود كالختان لغيرهم و كانوا يقولون صبغناه بالنصرانية[26]».

11-الطريحي(979-1085هـ./1571-1674م): « انّ النصاري كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسموّنه المعموديّة و يقولون هو تطهيرلهم[27]». و هذا ايضاً قول الزمخشري. و قال الطريحي في كتابه الاخر: « انّما سميّت الملة صبغةً لانّ النصاري استعاضوا في ختان اولادهم بماء اصفر يصبغ اولادهم، فردّالله -سبحانه و تعالي- عليهم[28]».

12-الشيخ اسماعيل الحقّي(ت.1127هـ./1715م): « و عبّر عن لفظ الفطرة بلفظ الصبغة لوقوعه في صحبة صبغة النصاري اذكانوا يشتغلون بصبغ اولادهم في سابع الولادة مكان الختان للمسلمين بغمسهم في الماء الاصفر الذي يسمونه المعموديّة[29]».

13-السيد عبدالله شبّر(1188-1242هـ./1774-1827م): « فانّ النصاري كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسموّنه المعموديّة، يجعلون ذلك تطهيراً لهم و محقّقاً لنصرانيتهم[30]». و هذا كما نري قول الزمخشري بعينه.

14-الآلوسى(1217-1270هـ ./1802-1854م): « فانّ النصارى كانوا يصبغون اولادهم بماء اصفر يسمونه المعموديّة يزعمون انّه الماء الذى ولد فيه عيسى -عليه الصلاة و السلام- و يعتقدون انّه تطهير للمولود كالختان لغيرهم...[31]».

15- محمد جواد مغنية(المعاصر): « صبغة الله و هي دين الحق الذي يُطهّرالقلوب و العقول من الاقذار و الاكدار لا الغمس بالماء الأصفر كما تفعل النصاري[32]».

---

25 ***جواهر الحسان فى تفسير القرآن***، ج1، ص113.

26 ***منهج الصادقين***(و هو تفسير باللغة الفارسية)، ج1،ص393.

27 ***مجمع البحرين***، مادة «صبغ».

28 ***تفسير غريب القرآن***، مادة «صبغ».

29 ***روح البيان***، ج1،ص225.

30 ***تفسير القرآن الكريم***،ص60.

31 ***روح المعانى***، ج1،ص652.

32 مغنية، ***اسرائيليات القرآن***،ص97

16-المكارم الشيرازى(المعاصر): «ذكر المفسرون انّ النصاري دأبوا على غمس اولادهم بعد ولادتهم بماء المعموديّة و احياناً كانوا يضيفون عقاقير صفراء و يقولون انّ الغسل بهذا اللون الخاصّ يطهر المولود من خطيئةٍ ذاتية ورثها من آدم[33]».

نقد و تحليل

كما نرى انّ ابن عبّاس هو اوّل من اشار الى غمس اولاد النصاري فى ماء المعموديّة فى اليوم السابع من ولادته، ثم اتبعه الفرّاء و الطبري و الطوسي و الطبرسي واحداً تلو الاخر. واعتقد الاكثر منهم التطهير كالختان و البعض كالطبري قالوا انّها بمنزلة غسل الجنابة لاهل الاسلام. كما اطلقوا على ماء العماد أو الغطاس عبارات « ماء المعمودية»، «ماءٌ لهم»، «ماء عموديّة» أو « العموديّة» و « المعموديه».

و عند ما يصل دورالزمخشرى نرى انّه يتكلّم عن غمس الاطفال فى ماء اصفر و من ثمّ يحذو المفسرون و اللغويون حذوه بمافيهم الميبدى و الطبرسى و الفخرالرازى و البيضاوى و النسفىّ و ابن منظور و النظّام النيسابوري و فتح الله الكاشانى و الطريحي و الشيخ اسماعيل الحقّى و السيّد عبدالله الشبّر و الآلوسى. و فى تفسيرٍ أُلّف فى عصرنا باللغة الفارسية يتكلّم المفسّر عن عقاقير خاصّة تضاف الى ماء المعموديّة لتصفيره، الّا انّنا نرى اَن القرطبى و الثعالبى لم يشيرا فى تفسيرهما عن ماء اصفر على غرار المفسرين الذين سبقوا الزمخشرى، وفي تصوّر كاتب هذه المقاله انّ مرجع ذلک انّ كشّاف الزمخشرى لم يلق ذلک الاقبال عند المغاربة خلافاً للمشارقة و كما نعلم انهّما من المغاربة.و مما يلفت الانتباه اشارة الميبدى فى تفسيره عن تعميد الاطفال فى مدينة «عموريّة».

امّا الاسئلة التى تظلّ مطروحة أمام الباحث فهى: هل يختص التعميد بالاولاد؟هل ماء المعموديّة اصفر اللون؟ أو لماء المعموديّة لون خاص اصلاً؟هل كان النصارى يضيفون الى الماء عقاقير خاصّة؟ هل اختصت هذه السنة باطفال نصارى مدينة عموريّة؟ ام كانت هذه المدينة مركزاً دينياً يتّجه اليها النصارى لتعميد اطفالهم؟

للأجابة عن هذه الاسئلة لابدّ من معلومات عن « المعموديّة» عند النصاري.

المعمودية

فى النصرانية سرّان مقدّسان ترضخ لهما جميع الفرق النصرانية و هذان السرّان هما: المعمودية و الأفخارستيا(Eucharist). و هناک اسرار أخري اتفق عليها البعض و رفضها البعض الآخر[34]. والسر الاول ،و هو التعميد او المعموديّة اوالعماد، هو عبارة عن التغطيس او الغسل[35]

---

33 ***تفسير نمونه***(تفسير الأمثل)، ج1،ص347.

34 هنرى تيسن، ***الهيات مسيحى***، ص309؛ توماس ميشل، ***كلام مسيحى***،ص91-92.

و هو احد الاسرار المقدسة الّتي قد مورست قبل ظهور المسيح في العهد القديم (Old Testament) ؛الا انَّ وجه الشبه بينها و بين السر المسيحى خارجي فقط و لا يتصل بالحقائق العميقة[36]. و قد جعل المسيح –عليه السلام– هذا السر من جملة فرائض الكنيسه. لانّه خاطب الحواريين قائلا:« فاذهبوا و تلمِذوا جمع الأمم و عمَّدوهم باسم الاب و الابن و الروح القُدُس[37]» و قال فى موضع آخر:« مَن آمن و اعتَمدَ خَلَص و مَن لم يُومن يُدَن[38]».

يرى المسيحيون انَّ من الطقوس التى يجب ان تراعى فى التعميد هو ان يتلى على المعمّد عندالغسل اسم الاب و الابن و الروح القدس حتّى يتطهّر من الادناس و الذنوب و يدخل في الديانه المسيحيه. و يستلخصون من هذا الامر ان التعميد فى العهد الجديد كالختان فى العهد القديم و عند ما يأتى الشخص بهذا السّر فقد ينال ما جاء به الله– تعالى– من انّ المرء الذى يعمّد تغفر ذنوبه و يتفّرغ لله –تعالى– في الطاعة و العمل الصالح[39].

فقد اختلف النصارى فى كيفية تنفيذ هذا الطقس.اذ يقول بعضهم يجب ان يغطس الشخص فى الماء بشكل كامل و البعض الآخر يرى ضروريا ان يغطس الشخص ثلاث مراتٍ فى الماء. و فى بعض الكنائس قد جرت العادة على ان يُرشّ الماء على رأس المعمّد. على ان هناک كنائس اخرى تذهب بالمعمّدين الى المياه الجاريه كالانهار و البحيرات. و يقرأ القسيس هذه الكلمات التى اخذت من اخر انجيل متّى « اعمدّک باسم الاب و الابن و الروح القدس» و لكن هناک كنائس اخرى تكتفى بذكر اسم اليسوع[40]. عندما يعمّد المرء يدخل في النصرانية و يتبنّى الرسالة المسيحية على مدى الاعصار و القرون. بناءً على ذلک ان النصرانى انمّا يعمّد مرّة واحدة فى حياته و ذلک عند الّدخول فى الدّيانة النصرانية[41].

---

35 دى فور، ***معجم اللاهوت الكتابى***، ذيل «معمودية».

36 المصدر نفسه.

37 . ***انجيل متّى***،28:19.

38 ***انجيل مرقس***،16:16.

39 جيمز هاكس، ***قاموس كتاب مقدس***، ذيل « تعميد». راجع ايضاً: ***اعمال الرسل***،2:38-41؛ ***رسالة بولس الرسول الى اهل رومية***، 6: 2-3؛ ***رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية***، 3 : 27.

40 جيمز هاكس، المصدر نفسه؛ توماس ميشل، المصدر نفسه،ص93؛ هنرى تيسن، المصدر نفسه، ص311؛ دى فور، ***معجم اللاهوت الكتابى***، ذيل «معمودية».

41 توماس ميشل، المصدر نفسه،ص92-93.

و يحسب كثير من النصارى انّ تعميد اطفال المؤمنين فرض عليهم و هو كالعهد بينهم و بين الرب[42]. و يبدو انَّ برهانهم على ذلک هو ان تعميد الاطفال كالختان فى العهد القديم[43]. ويرى آخرون منهم انه لايجوز تعميد الاطفال؛ بل الواجب هو ان يعمّد المرء الذى يستطيع ان يعترف بذنوبه[44]. يصرح هولاء ان التعميد يختص بالذين قد قبلوا رسالة النجاة بأكملها و ذلک بمبادرة فردية و يستدلّون على ذلک بكلمات من الكتاب المقدس (منها: انجيل متّى، 28:20؛ اعمال الرسل،41:2؛47:10). و جدير بالذكر انه قدجاء فى الكتاب المقدّس كلام حول ايمان او تعميد الشّخص مع اهل بيته[45]؛ لكن لم يذكر فيه كلام حول تعميد الاطفال بشكل مباشر[46].

و قد شاع بين النصارى السلف تعميد الحى بدل الميّت المؤمن الذى لم يعمّد نيابةً. و لكن بعد مدة قد نبذت الكنيسة هذه العادة و لم يمارسها بعد الّا اهل البدعة من النصارى[47].

و بما ان العماد سرّ فصحى[48] فقد اقام النصارى هذا السّر منذ عهدٍ بعيد للمسيحيين الجدد فى يوم الفسح و هو من اكبر اعياد المسيحيين[49].

يتضح ممّا ذكر:

اولاً؛ ان التعميد لا يقتصر على الاطفال. بل تقرر فى سنة النصارى ان يعمّد كل من دخل النصرانية و قد شاع هذا الطقس بين العرب المتنصّره فى الجاهلية ايضاً. كما ذكروا أنّ «زوكوموس» و هو « ضجعم» سيد الضجاعمة تنصّر على يد أحد الرهبان، و ذلک أن هذا الرئيس كان متلهّفاً الى مولود ذكر، فجاءه هذا الراهب و تضرّع الى الله أن يهبه ولداً ذكراً. فلمّا استجاب الله له تعمّد و تبعته قبيلته[50].

---

42 هاكس، المصدر نفسه، ذيل تعميد.

43 هنرى تيسن، المصدر نفسه،ص311.

44 هاكس، المصدر نفسه.

45 مثلا راجع : ***اعمال الرسل***، 16: 15،31-34،18: 8؛ ***رسالة بولس الرسول الاولي الي اهل كورنثوس***،1: 16.

46 هنري تيسن، المصدر نفسه.

47 هاكس، المصدر نفسه. راجع ايضاً: ***رسالة بولس الرسول الأولي الي أهل كورنثوس***،15: 29.

48 دي فور، المصدر نفسه، ذيل معمودية.

49 توماس ميشل، المصدر نفسه،ص93.

50 شيخو، ***النصرانية و آدابها***، ج1، ص35؛نقلا عن الدكتور جواد علي، ***المفصل في تاريخ العرب***، 6،ص587،592.

ثانياً؛ليس لماء المعمودية لون خاص كما صرّح بهذه الحقيقة ابن عاشور[51].

ثالثاً؛ ماجاء فى المصادر الاسلامية و المسيحية كلام حول مزج عقاقير خاصة الى ماء المعموديه.

رابعاً؛ يبدو انه لاصلة بين المعمودية و مدينة عمورية و ان كانت هذه المدينه تُعدّ من المدن الهامّة البيزنطية و قد احتشد فيها كثير من المسيحيين و لكن لم يذكر لها اسم فى الكتاب المقدس او قواميسه[52]. لهذا لايبدو لهذه المدينة مكانة دينية خاصة بين النصارى. ولو كان كذلک لربما ذكره الجغرافيون كياقوت الحموى[53] و غيره. على هذا نجزم بالقول : انّ التعميد لم يقتصر على اطفال اهل عموريّه و لم يكن المسيحيون مكلّفين على ان يرسلوا اطفالهم الى هذه المدينه للتعمّد.

نتيجة البحث

إنّنا فى الوقت الراهن لا نعلم ما مصادر كلام الزمخشرى عندما يتكلم حول تعميد اطفال النصارى بالماء الاصفر. لأنه لم يتوصّل حتى الان الى دليل على ذلک فى المصادر و المستندات الموجودة. و لكن نستطيع القول كما ذكره عبدالله يوسف على : « انّه ربّما كان نصارى العرب يضيفون لوناً الى ماء المعمودية و بهذا العمل يريدون ان يقولوا ان المعمّد قد اتخذ لونا جديداً فى الحياة»[54]. و هذا ما الجأ الزمخشرى إلي أن يري هذا القول. و ربّما كانت تقطن فرق مبتدعة من النصاري في موطن الزمخشري . فى ماوراء النهر و قد رأى الزمخشرى طقوسهم و بنى فكرته عليها.

و فى النظر الى مثل هذه العينة يتّضح ان الدراسات الدينيه للمفسرين لم تكن شاملةً محققّة مدروسة علمية منهجية؛ و لتدراک هذا الخلأ جدير بنا أن نضيف الى « مبادىء التفسير» معرفة دقيقة علمية محققة لعقايد اهل الديانات السماويه و طقوسهم.

و ايضاحاً لذلک اقول: اشترط العلماء فى المفّسر الذى يريد ان يفسّر القرآن برأيه، بدون ان يلتزم الوقوف عند حدود المأثور منه فقط، ان يكون ملمّا بجملة من العلوم التى يستطيع

---

51 ابن عاشور،***تفسير التحرير و التنوير***، ج1،ص721.

52 راجع مثلا: هاكس، الكتاب نفسه، دي فور، المصدر نفسه.

53 راجع ياقوت، ***معجم البلدان***، ذيل عموريه.

54 Yusuf Ali, ***the Holy Quran Translated***, p.56.

بواسطتها ان يفسر القرآن تفسيراً عقلياً مقبولاً و جعلوا هذه العلوم ادوات تعصم المفسّر من الوقوع فى الخطأ. وهذه العلوم هى:

1. علم اللغة؛ 2. علم النحو؛ 3. علم الصرف؛ 4. الاشتقاق؛ 5- 7. علوم البلاغة الثلاثة (المعانى و البيان و البديع)؛ 8. علم القراءات؛ 9. علم الكلام او علم اصول الدين؛ 10. اصول الفقه؛ 11. علم اسباب النزول؛12. علم القصص؛ 13. علم الناسخ و المنسوخ؛14. الاحاطة على الاحاديث المبينة لتفسير المجمل و المبهم؛15. علم الموهبة[55].

و بما أن القرآن قد أشار الى عقائد اصحاب الديانات الأخرى و طقوسهم و أيّد بعضها و خطّأ البعض الآخر. لهذا من أجل فهم هذا الكّم من الايات يجب علينا أن نطّلع على عقائد اهل الديانات الأخرى و طقوسهم. و لأجل هذا نحن بحاجة ماسّة الى معرفة الديانات الكبرى مثل اليهودية و المسيحية ؛ كما اشار بعض علماء التفسير و تاريخه فى الأونة الاخيرة بأنه يجب على المفسّرأن يلمّ بعلمى التاريخ و الجغرافياء لمعرفة المراد من مفاهيم القرآن لأنّ « القرآن قد اشتمل على اخبار الأمم الماضية و سيرهم و حوادثهم و هى امور تقتضى الالمام بعلمى التاريخ و تقويم البلدان لمعرفة العصور و الامكنة التى وجدت فيها تلك الامم و وقعت فيها هذه الحوادث»[56].

المصادر

-الآلوسى، شهاب الدين محمود، روح المعانى، صحّحه محمد حسين العرب، بيروت،1417هـ./1997م.

-ابن الجوزى، ابوالفرج عبدالرحمن بن على، زادالمسير فى علم التفسير، تحقيق محمدبن عبدالرحمن، الطبعة الاولى، بيروت،1407 هـ.

-ابن عاشور، محمدطاهر، التحرير و التنوير، الطبعة الاولى، بيروت،1420 هـ./2000م.

-ابن منظور، محمدبن مكرم، لسان العرب، بيروت، دون تاريخ.

-أبوالفتوح الرازى، حسين بن على الخزاعى النيسابورى، روض الجنان و روح الجنان،حقّقه محمد جعفر ياحقى و محمد مهدى ناصح، مشهد-إيران، 1371 هـ.ش.

-البيضاوي، ناصرالدين عبدالله بن عمر،انوار التنزيل و أسرار التأويل، صحّحه محمد ازدمير، ديار بكر، تركيا، دون تاريخ.

-تيسن، هنري، الهيات مسيحى، ترجمه بالفارسية ط. ميكائيليان،طهران،دون تاريخ.

-الثعالبى، عبدالرحمن بن محمّد، جواهر الحسان فى تفسير القرآن، بيروت، دون تاريخ.

---

55 السيوطي، ***الاتقان***، ص1209-1212؛ الذهبي، ***التفسير و المفسرون***، ج1، ص265-268.

56 الذهبي، المصدرنفسه، ج1،ص270 فما بعدها.

-الجوهرى، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار، الطبعة الرابعة، بيروت،1990م.
-الحقى البروسوى، إسماعيل، روح البيان، القاهرة،1287 ه.
-دي فور، أُغزويه و غيره، معجم اللاهوت الكتابى، تعريب إرنست سمعان و غيره، بيروت،1986م.
- الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد ، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الاولي، بيروت- دمشق، 1412ق./1992م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، الطبعة الثانية، قم- ايران، 1415ق.
- سورآبادي، أبوبكر عتيق بن محمد النيسابوري، تفسير، صحّحه علي أكبر سعيدي سيرجاني، طهران، 1381 ه.ش.
- شبّر، السيد عبدالله، تفسير القرآن الكريم، راجعه حامد حفني داود، الطبعة الرابعة، بيروت، 1407ق./1987م.
- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، مفاتيح الاسرار و مصابيح الابرار، إعداد عبدالحسين الحائري و پرويز اذكائي، طهران، 1368 ه.ش.
- شيخو، لويس، النصرانية و آدابها بين العرب الجاهلية، الطبعة الثانية، بيروت،1989م.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن، جوامع الجامع، صحّحه ابوالقاسم گرجي، الطبعة الثانية ، طهران- قم،1367 ه.ش.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان، حققه السيد هاشم الرسولي المحلّاتي و فضل الله اليزدي الطباطبائي، بيروت، 1379 ه .ق.
- الطبري، محمد بن جرير،جامع البيان، بيروت، 1415 ه ق./ 1995م.
- الطريحي، فخرالدين، تفسير غريب القرآن، تحقيق محمد كاظم الطريحي، قم، دون تاريخ.
- الطريحي، فخرالدين ، مجمع البحرين، حققه سيد احمد حسيني، طهران، دون تاريخ.
- الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان فى تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، النجف،1376 ه. /1957م.
- فخرالدين الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت، 1398 ه.ق./1978م.
- الفرّاء، يحيي بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجّار، طهران، دون تاريخ.
- القرطبي، محمدبن أحمد الأنصاري، الجامع لاحكام القرآن، بيروت، 1414 ه.ق./1993م.
- كاشاني، مولي فتح الله بن شكرالله، منهج الصادقين، صحّحه علي اكبر غفّاري، طهران، دون تاريخ.
- مغنية، محمد جواد، اسرائيليات القرآن، الطبعة الثانية، بيروت، 1404 ه. 1984م.
- كتاب العهد الجديد، أوكسفورد،1871م.
- المكارم الشيرازى، ناصر و غيره، تفسير نمونه، طهران، دارالكتب الاسلامية، تاريخ المقدمّه1393 ه.

- الميبدي، أبوالفضل رشيدالدين، كشف الأسرار و عُدّة الأبرار، إعداد علي اصغر حكمت، الطبعة الأولى، طهران، 1331-1339 هـ.ش.
- ميشل، توماس، كلام مسيحي، ترجمة حسين توفيقي، الطبعة الأولى ، قم،1377 هـ.ش.
- النسفي، عبدالله بن أحمد، مدارک التنزيل، الطبعةالأولي، بيروت، 1415 هـ.ق./1995م.
- النيسابوري، حسن بن محمد القمي، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، الطبعة الاولي، مصر، 1381 هـ. /1962م.
- الواحدي النيسابوري،علي بن أحمد، اسباب النزول، القاهرة، 1388 هـ.
- هاكس، جيمز، قاموس كتاب مقدس، الطبعة الاولي ، طهران، 1377 هـ. ش.
- ياقوت بن عبدالله الحموى، معجم البلدان، بيروت،1374 هـ./1957م.

-Yusuf Ali,Abdullah,(translator), The Holy Qur'ān, Maryland, U.S.A, 1989.